أهمية القراءات القرآنية في المعاجم
- تهذيب اللغة للأزهري - أنموذجا -

إعـداد

ابن عبدالله واسيني

ابن عبدالله واسيني

- أستاذ مساعد (صنف ب) بجامعة محمد بوضياف، ولاية المسيلة، الجزائر.
- حصل على درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص (قرآن كريم ودراسات أدبية) من جامعة أبي بكر بلقايد – ولاية تلمسان – الجزائر.

تمهيد

تمثل المعاجم العربية مصدراً هاماً للباحث في الدراسات اللغوية والأدبية، ولا سيما بعد أن ظهرت تلك المعاجم الكبرى كالعين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري،ومعجم الصحاح للجوهري، ومعجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، ومعجم القاموس المحيط للفيروز أبادي...

وقد شملت هذه المعاجم كثيراً من شؤون الحياة العربية لغوياً وأدبياً وفكرياً وتاريخياً وما إلى ذلك، بالإضافة إلى الهدف الأساسي وهو جمع ألفاظ اللغة وتحديد صيغها ومعانيها وما يَعْرِض لها أحياناً من اختلاف بين لهجات القبائل، أو اختلاف بين آراء أهل اللغة، أو ما أشبه ذلك، وقد اعتمد أصحاب هذه المعاجم على القرآن الكريم وقراءاته وعلى كلام العرب شعرا ونثرا وعلى الحديث النبوي الشريف، كما سنبينه في هذا البحث.

المبحث الأول: ترجمة موجزة لأحمد أبي منصور الأزهري.

يعدّ الأزهري[١] -رحمه الله- من مشاهير العلماء البارزين في اللغة والفقه والدراسات القرآنية، وبحكم أنه قدّم في مجال الدراسات اللغوية عملا متميزا عُدّ من أمهات كتب اللغة العربية ومن أوثق معاجمها ومن أغزرها مادة وأكثرها استيعابا، فلا غرابة أن نجد الأقلام تتهافت على الكتابة عن حياته والترجمة له[٢].

وقد تنوعت الكتب التي ترجمت لأبي منصور الأزهري بين المطوَّل فيه والمقصر، وسأقتصر على بعضها.

هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي أحد الأئمة الكبار في لغة العرب وآدابهم"[٣]. والأزهري نسبة إلى جده الأزهري، والهروي نسبة إلى هراة[٤] حيث ولد بها، والشافعي

---

(١) ينظر: ابن خلكان– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان– تحقيق: د. إحسان عباس– لبنان– بيروت – دار صادر–ط:١– ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١– د.ت–ج:٤ –ص:٣٣٥. وياقوت الحموي– معجم البلدان– لبنان–بيروت– دار صادر– ط:٢– ١٣١٦هـ ١٨٩٥م –ج:٥– ص:٣٩٦/ ٣٩٧. وابن كثير– البداية و النهاية– لبنان– بيروت– دار المعارف– ط:٢– ١٤٢٦هـ١٩٩٥م–ج:١١– ص:١٤٩/ ١٥٩. وتاج الدين عبد الوهاب السبكي– طبقات الشافعية الكبرى– تحقيق: محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو– مصر– القاهرة– مطبعة عيسى البابي الحلبي– ط:١– ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م– ج:٣ – ج:٦٣.

(٢) أبو منصور الأزهري– تهذيب اللغة – تحقيق: عبد السلام هارون و محمد علي النجار– مصر– القاهرة– المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر– ط:١– ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م. –ج:١– ص:٥/ ١٦.

(٣) المصدر نفسه –ج:١– ص:٥.

(٤) – هراة – بالفتح– مدينة عظيمة مشهورة، من أمهات مدن خراسان، يقول ياقوت الحموي: =

نسبة إلى مذهبه الفقهي[1].

وُلد الأزهري سنةَ اثنتين وثمانين ومائتين من الهجرة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، بإحدى مدن خراسان التي شهدت قدرا من النشاط العلمي في القرن الرابع، ولا شك أن هذا الجوَّ ترك الأثر على شخصية أبي منصور الأزهري وعلى أمثاله من أهل هذه المدينة ممن عُرفوا بالجد والمثابرة في التحصيل العلمي[2].

وقد أقام الأزهري صدر حياته في مدينة هراة، وسمع بها من الحسين بن إدريس (ت٣٠١هـ) وطائفة من علمائها، ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعي، وبرز فيه، إلا أنه تحوّل بعد ذلك إلى دراسة اللغة، وساعده على ذلك أنه اختلط ببعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم[3].

وللأزهري قدم راسخة في علوم الدين واللغة، وكان فقيهاً شافعيَ

= "ولم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أكثر أهلاً منها وقد أصابتها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها وذلك في سنة ٦١٨ ونسب إليها خلق من الأئمة والعلماء، منهم الحسين بن إدريس بن المبارك أحد مشهوري المحدثين بهراة وكان من الثقات"- ياقوت الحموي- معجم البلدان – ج:٥- ص:٣٩٦/ ٣٩٧.

(١) ينظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ج:٣ – ص:٦٣.

(٢) ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج:٤ – ص:٣٣٥.

(٣) ينظر: ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ج:٨ – ص:١٤٧. وابن كثير- البداية و النهاية- ج:١١- ص:١٤٩/ ١٥٩. والأزهري- تهذيب اللغة- تقديم: د.أحمد عبد الرحمن مخيمر- لبنان- بيروت – دار الكتب العلمية- ط:١-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م- ج:١ – ص: ٥.

المذهب- كما أشرتُ في البداية- لكنه غلب عليه الاشتهار باللغة بسبب معجمه الكبير تهذيب اللغة، فقد كان "جامعاً لشتات اللغة، مطَّلعاً على أسرارها ودقائقها"[(١)]، قال عنه تاج الدين السبكي:" كان إماماً في اللغة، بصيراً بالفقه، عرّافاً بالمذهب الشافعي، عالي الإسناد، ثخين الورع، كثير العبادة والمراقبة، شديد الانتصار لألفاظ الشافعي، متحرياً في دينه"[(٢)] ووصفه الذهبي بالعلاّمة، ثم قال عنه:" وكان رأسا في اللغة والفقه ثقة ثبتا دينا"[(٣)].

والأزهري أيضا عالم في التفسير؛ إذ ألّف كتابا في التفسير سمّاه" التقريب في التفسير"، كما أنه ضمّن مُعجمَه العديدَ من أقوال المفسِّرين عند ذكره شواهد القرآن الكريم وقراءاته المختلفة أو عند شرحه لمادة معجمه الغزيرة، وهذا يشهد برسوخه في علوم الشريعة والدين واللغة، بل يُصرّح بذلك في المقدمة بقوله:" وكتابي هذا، وإن لم يكن جامعاً لمعاني التنزيل وألفاظ السنن كلّها، فإنه يَحُوز جملاً من فوائدها ونُكتاً من غريبها ومعانيها غير خارج فيها عن مذاهب المفسِّرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام اللغويّين المعروفين بالمعرفة الثاقبة والدّين والاستقامة"[(٤)].

(١) ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج:٤ – ص:٣٣٥.

(٢) تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ج: ٣- ص: ٦٤.

(٣) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- سير أعلام النبلاء- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة – ط:٢- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م- ج:١٦- ص:٣١٥/ ٣١٧.ج:١٦- ص:٣١٦.

(٤) الأزهري- تهذيب اللغة- ج: ١- ص: ٧.

أما مذهبه العقدي، فإن الأزهري سلفي العقيدة، يتّبع منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والأدلة على ذلك كثيرة من معجمه التهذيب، منها قوله في باب (وحد):" وأما قول الناس توحَّد الله بالأمْرِ وتفرّد فإنه وإن كان صحيحاً في العربية فإني لا أُحِبُّ أن أَلْفِظَ بلفْظٍ في صفة الله لم يصِفْ به نَفْسه في التنزيل أو في السنة، ولم أجد المتوحد ولا المتفرد في صفاته، وإنما تَنْتَهي في صفات الله إلى ما وصف به نفسه، ولا تجاوزه إلى غيره لجوازه في العربية، تعالى الله عن التمثيل والتشبيه علوّاً كبيراً"[1].

فهذا دليل على ما ذكرتُ على عقيدته، إضافة إلى ما ألّفه الدكتور"علي بن نفيع العليان" حول عقيدة الأزهري؛ حيث ألف كتابا سماه "عقيدة الإمام الأزهري صاحب تهذيب اللغة" وقد أفاض حفظه الله في هذه المسألة غاية الإفاضة، وبيّن غاية الإبانة لمن شاء الرجوع إلى كتابه السابق.

وقد ترك لنا الأزهري كُتباً ومؤلفات علمية كثيرة تشهد بتفوّقه وعلمه ورسوخه في العلم منها[2]: تهذيب اللغة، وكتاب الأدوات، والتقريب في التفسير، وتفسير أسماء الله -عز وجل- وتفسير إصلاح المنطق لابن السكيت، وتفسير السبع الطوال، وتفسير شعر أبى تمام، والحيض، وتفسير شواهد غريب الحديث لأبى عبيد، والرد على الليث، وعلل القراءات، وكتاب الروح وما ورد فيها من القرآن والسنة.

أما وفاته، فيكاد المؤرخون يجتمعون على أن وافته كانت بهراة سنة

(١) المصدر نفسه - باب (صدق) ج: ٨ - ص: ٣٥٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة – الأزهري- تقديم عبد السلام هارون –ج:١- ص: ١٣/ ١٥.

سبعين وثلاثمائة (٣٧٠هـ) في ربيع الآخر منها، وقيل في أواخرها، وقيل سنة إحدى وسبعين(٣٧١هـ)حيث يذكرون أنه توفي فجأة دون مرض[1].

فرحمة الله تعالى على هذا العلَم الذي ترك عِلْما يخلّدُ اسمَه في الآخِرين، وينالُ به الرحمةَ والمغفرةَ عند ربِّ العالمين، آمين.

(١) ينظر: عبد الحي بن أحمد الحنبلي- شذرات الذهب- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط و محمد الأرنؤوط- سوريا – دمشق- دار بن كثير- ط:١- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥ –ج:٣ – ص:٧٢. و الذهبي- سير أعلام النبلاء – ج: ١٦- ص:٣١٦.

المبحث الثاني :القراءات القرآنية في المعاجم.

المطلب الأول :تعريف المعجم.

لغة:

العَجَمُ ضد العَرَبُ، والأعْجَم الذي لا يفصح، وامرأة عجماء بيّنة العُجمة والعجماء البهيمة؛ لأنها لا تتكلم[1]. وفي الحديث عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **جُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ**»[2]

أي: هدر لا شيء عليها إن أتلفت شيئاً بالنهار أو الليل دون تفريط من مالكها[3].

والعجماء: كل صلاة لا يجهر فيها بالقراءة، ولذلك سميت صلاتا

---

(١) الأزهري- تهذيب اللغة- باب(عجم)-ح:١- ص: ٣٩٠. محمّد بن محمّد الزَّبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان- بيروت –دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م- باب (عجم)-ج:١- ص:٧٨١١.

(٢) رواه: مالك في الموطأ في باب جامع العقل- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- لبنان- دار إحياء التراث العربي- ط.ط- د.ت- كتاب الحدود-باب جامع العقل-ج: ٢- ص:٨٦٩. ومسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- لبنان- دار إحياء التراث العربي-د.ط-د.ت- كتاب الحدود-باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار-ج: ٣- ص: ١٣٣٤. والعجماء بالمد هي كل الحيوان سوى الآدمي وسميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم والجبار بضم الجيم وتخفيف الباء الهدر. ينظر النووي- شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان- بيروت –دار إحياء التراث العربي-ط:٣- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م- ج: ١١- ص:٢٢٥. أبو عمر يوسف ابن عبد البر- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- تحقيق: محمد الفلاح – ط:١- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م –ج: ٧ – ص:١٩.

(٣) ينظر: ابن حجر – فتح الباري- تحقيق: محب الدين الخطيب – لبنان – بيروت –دار المعرفة- د.ط- د ت- ج: ١٩- ص: ٣٦٧- و الباجي- المنتقى – ج:٤ – ص: ٤٨

الظهر والعصر بالعجاوين، ويقال للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم. قال امرؤ القيس:

صَـمَّ صَـدَاهَا وَعَـفَا رَسْمُهَا   واسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنْطِق السَائلِ

والعُجمة معظم الرمل وأشده تراكماً، سمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سالكه(١).

من ذلك كله يتضح لنا أن مادة(ع ج م) تدل على الإبهام والغموض وخلاف الإيضاح. ولكنا وجدنا اللغويين يقولون تعجيم الكتاب تنقيطُه كي تستبين عجمته وتتضح، وعلى ذلك فمعنى قولنا أعجمت الكتاب أوضحته وبينته(٢).

وقد يتخيل القارئ أن هناك تناقضًا بين المعجم بمعنى الإبهام الكامن في الاستعمالات الأولى، وبين المعجم بمعنى الإيضاح، ولكن بالتأمل لا نرى هناك تناقضًا، وذلك أن الهمزة من (أعجم) إنما هي للإزالة والسلب، كما يقول ابن جني أبو عثمان ابن جني:" إن قولهم أعجمت على وزن أفعلت، والهمزة فيه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات

---

(١) ينظر: أبو عثمان ابن جني - الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط٣- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م - ج: ٣ - ص:٧٥.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي- معجم العين- تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي- لبنان - بيروت - مؤسسة الإعلامي للمطبوعات- ط:١- ١٤٠٨/ ١٩٨٨م- باب العين والجيم والميم معهما- فصل (عجم)-ج:١ ص:٢٣٧- ٢٣٨. وابن منظور- لسان العرب- لبنان - بيروت- دار إحياء التراث العربي- ط:١- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م - باب (عجم)-ج:١٢ - ص: ٣٨٥.

والإيجاب، نحو أكرمت زيداً أي أوجبت له الكرامة، وأحسنت إليه أي أثبت له الإحسان، فقد تأتي الهمزة أيضاً يراد بها السلب والنفي، مثل أشكيت زيداً، أي زلت له عما يشكوه"[1].

من ذلك نستنتج أن مادة *عجم* تدل على الإبهام والإخفاء، إلا أن كلمة معجم مشتقة من الفعل "أعجم" المزيد بالهمزة، فأصبح معنى "أعجم" أزال العُجْمة والإبهام.

ومن ذلك قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ سورة طه- الآية:١٥**. أي: أكاد أظهرها[2].

وعلى هذا الأساس يكون قولنا أعجمت الكتاب معناه أزلت منه استعجامه،كما كان **﴿أخفيها﴾** أزيل عنها خفاءها. ونظيره أيضاً أشكلت الكتاب إذا أزلت عنه إشكاله[3].

اصطلاحا:

المعجم اصطلاحا كتاب يضم كلمات لغة ما، كلّها أو جلّها، مرتبة ترتيباً خاصاً مشروحة بما يزيل خفاءها وإبهامها، ومضبوطة ضبطاً يبين حركاتها وحروفها مقرونة بما يوضح صيغها، واشتقاقاتها، وكيفية نطقها. أو هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين، مشروحة

(١) أبو عثمان ابن جني – سر صناعة الإعراب- تحقيق: د .حسن هنداوي – سوريا- دمشق- دار القلم- ط:١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م -ج: ١- ص: ٣٧.

(٢) ينظر : أبو محمود الزمخشري – الكشاف- ج: ٣ – ص: ٥٨.

(٣) أبو عثمان ابن جني- سر صناعة الإعراب- ج: ١- ص: ٣٩/ ٤٠.

شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده.

أو هو كتاب يضم بين دفتيه أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع.

والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبيّن مواضع استعمالها[(١)].

بعدما عرفنا معنى المعجم في اللغة والاصطلاح، أشير هنا إلي أن هناك مصطلحاً آخر اشتهر بين الناس وهو القاموس، ويعنون به المعجم سواء أكان خاصاً باللغة العربية، أم بأي لغة أجنبية، أم كان مزدوج اللغة.

ومعنى كلمة القاموس: أبعد موضع غوراً في البحر[(٢)].

وكلمة القاموس هذه صارت مرادفة لمصطلح المعجم بسبب تسمية مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي معجمه بـ: القاموس المحيط، وكأنه- رحمه الله - أراد أن يصف معجمه بالغزارة لما اشتمل عليه من مادة علمية، اعتبرها هو رصينة، يتضح لنا ذلك من قوله في مقدمته: " ... وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم، وأضفت إليه زيادات منَّ الله تعالى بها وأنعم، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة...

(١) أحمد عبد الغفور عطار- مقدمة الصحاح - ص٣٨.

(٢) الأزهري -تهذيب اللغة ـ مادة (قمس)- ج: ٨- ص: ٣٢٣.

وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم"[1].

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن القاموس المحيط الذي عنون به الفيروز آبادي معجمه، وصفٌ لهذا المعجم بأنه بحر واسع أو عميق، كما نسمي بعض كتبنا الشامل، أو الكامل، أو الوافي أو نحو ذلك.

(١) – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – القاموس المحيط – ج: ١ – ص: ٣.

المطلب الثاني: مناهج المعاجم:

اختلفت مناهج اللغويين في إيراد أبواب المعجم؛ فمنهم من اختار جمع المواد حسب الألفاظ مرتبا إياها ترتيبه الخاص، ومنهم من رأى جمع المواد حسب الموضوعات مبوبا لها حسب المعاني، وقد اختلفت طرق الترتيب لدى الطائفتين؛ فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف[(١)]، أو على الحروف الهجائية ناظرة إلى الحرف الأول للفظة[(٢)] أو الحرف الأخير لها وتجعله بابا والحرف الأول فصلا[(٣)]، وذهبت الطائفة الثانية إلى إيراد الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب[(٤)]، والاستشهاد بكل منها أو لبعضها أو إلى إيراد النصوص الشعرية الخاصة بالباب واستخراج الألفاظ وشرحها.

فيمكن أن نستنتج أن للعلماء منهجين في ترتيب معاجمهم:

المنهج الأول: حسب المعاني

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى معانيها؛ فيجمعون الكلمات التي تتعلّق بموضوع واحد في موضعٍ واحد؛ بحيث تكون تلك الكلمات المرتبطة بتلك العلاقة اللغوية مجموعةً في رسالة واحدة، وتُسمّى هذه المؤلفات التي تشتمل على هذه المفردات معاجم المعاني أو معاجم

(١) من ذلك معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٢) كمعجم المقاييس لابن فارس.

(٣) كالصحاح للجوهري.

(٤) كمعجم النخل والنخيل للأصمعي.

الموضوعات.

المنهج الثاني: حسب الألفاظ

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى ألفاظها، فتُرتّب الألفاظ اللغوية على ترتيبٍ معيّنٍ ينظر إلى الحروف التي تتكوّن منها، سواءً كان الترتيب مبنيّاً على الحرف الأول فالثاني، أم على الحرف الأخير فالأول، أم على أقصى حروف الكلمة مخرجاً ثمّ الذي يليه.

والمعجم الذي بين أيدينا ينتمي إلى المنهج الثاني أي مدرسة التقلبات الصوتية؛ فصاحبنا الأزهري -رحمه الله- اعتمد المنهج الصوتي وسار في طريقة التقلبات أي تقليب الحروف المكونة للباب.

المطلب الثالث: أهمية المعاجم.

كان الهدف العام من تأليف المعاجم العربية خاصّةً وكتب اللغة عموما هو حراسةُ القرآن الكريم من أن يقتحمه لحن في النطق أو خطأ في الفهم، وحمايةُ اللغة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية، وصيانةُ هذه الثروة اللغوية والأدبية من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية اضمحلالها وما ينشأ عن ذلك من الجهل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

يقول الأزهري في هذا الصدد:" فعلينا أن نجتهدَ في تعلُّم ما يُتوصَّل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب ثم السُّنن المبيِّنة لجمل التنزيل الموضّحة للتأويل لتنتفيَ عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزَّيْغ والإلحاد ثم على رءوس ذوي الأهواء والبِدَع الذين تأوَّلوا بآرائهم المدخولة، فأخطئوا وتكلَّموا في كتاب الله -جلّ وعزّ- بلكنتهم العجميّةِ دونَ معرفة ثاقبة فضلُّوا وأضلُّوا"[(١)]

لذلك شمر كثير من العلماء و المفسرين واللغويين ومن بينهم أئمة اللسان وأصحاب المعاجم لذلك، وكتبوا فيه الدواوين وألفوا فيه الكتب، وقامت كل طائفة بفن من فنونه؛ فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه

(١) - الأزهري - تهذيب اللغة-ج:١ - ص :٤.

وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته وغير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه، فسمّوا القرّاء، واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به...[1].

ولعلّ ابن منظور صاحب المعجم المشهور، لسان العرب، كان موفّقا عندما ذكر أهمية معجمه بقوله في مقدمته:" وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسَّكُ بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم..." ويوضِّح غرضه من هذا العمل اللغوي الضخم فيقول: "فإنِّي لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنَّة النبوية..." إلى أن يقول: "وذلك لما رأيتهُ في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتَّى لقد أصبح اللحنُ في الكلام يُعَدُّ لحنًا مردودًا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجُمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية"[2].

يظهر كلام ابن منظور أنه جعل الهدف من تأليفه المعجم هو حفظ أصول اللغة العربية وحمايتها من اللحن.

(١) جلال الدين السيوطي- الإتقان غي علوم القرآن- تحقيق: سعيد المندوب- لبنان- بيروت- دار الفكر- ط:١- ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ص: ٧٢٧.

(٢) ابن منظور- لسان العرب- ج:١ -ص: ١٢- ١٣.

ويمكن أن نستنتج أهمية المعاجم وفوائدها كما يلي:

- ✓ معرفة الضبط الصحيح للكلمة بحركاتها وتصريفاتها.
- ✓ الكشف عن معاني المفردات الغريبة والغامضة.
- ✓ معرفة أصل اللفظ، واشتقاقاته.
- ✓ التعرّف على جميع دلالات اللفظ الواحد أو الألفاظ التي لها أكثر من دلالة فيجعلنا نتعرف على بعض الظواهر اللغوية، مثل: الاشتراك اللفظي والأضداد...
- ✓ معرفة الألفاظ الفصيحة، وتمييزها عن الألفاظ العامية.
- ✓ معرفة تاريخ اللفظ وتطور دلالاته، واستعمالاته.
- ✓ معرفة الألفاظ والكلمات القديمة التي هجرها الاستعمال.
- ✓ معرفة معنى الكلمة وهي مفردة، ومعناها في السياق مع مثيلاتها من الكلمات.
- ✓ معرفة بعض الشواهد اللغوية، والنحوية، والصرفية، والبلاغية وكذلك الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية وأصحابها.
- ✓ جعل اللغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون، وذلك بإطلاق أسماء على المخترعات الجديدة من مخزون اللغة اللفظي؛ مثل: كلمة حاسوب وكلمة مذياع، وكلمة هاتف، وطابعة وغيرها من الألفاظ الجديدة.
- ✓ المحافظة على سلامة اللغة وحمايتها من الاندثار.

وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المعجميّ اتّسع بمختلف أشكاله في اللغة العربية في عصرنا الحاضر؛ فاتّسع على مستوى فردي، بجهود علماء ولغويِّين ومتخصّصين أمثال المنجد والمعجم والقاموس، وعلى مستوى المؤسسات في الأقطار العربية، مثل مجامع اللغة العربية، ومراكز البحوث، والهيئات العلمية، والجامعات، وعلى مستوى قومي، مثل المنظمات العربية المتخصّصة، والاتحادات المهنية العربية.

وكل هذه المعاجم والهيئات والمؤسسات العلمية هدفها خدمة القرّاء وأعني بهم الطلاب والكتّاب والأساتذة والمحامين والصحفيين والخطباء والوعاظ وأمثالهم، وبعبارة أخرى أولئك الذين يستخدمون اللغة في الكلام والكتابة، ويَمُدُّهم بمعلومات لغوية عن الكلمات والتعبيرات وعن معانيها واستعمالاتها ومجالاتها، وكذا التفريق بين صحيحها وخطئها وأفصحها...

كما أن الحاجة ماسة إلى استخدام المعجم في كل مراحل الدراسة؛ فالتلميذ الصغير تقابله كلمات صعبة كثيرة يقف أمامها حائرا، والمدرسُ كثيرا ما تصادفه كلمات غريبة تحتاج إلي البحث والكشف عن مدلولاتها المختلفة، وإن تحديد مفهوم الكلمة يساعد علي وضوح الفكرة المتضمنة في العبارة، ويؤدي ذلك إلى الفهم العلمي السليم الذي يدفع بالمعرفة خطوات إلي الأمام.

المبحث الثالث:

أهمية القراءات القرآنية في المعاجم وموقف العلماء منها:

لقد وصل إلينا القرآن الكريم بعيداً عن أيّ زيغ أو تحريف، ومن هذا المنظور كان لزاماً على علماء اللغة والمعاجم والنّحو الحفاظ عليه من أيّ لحنٍ قد يأتيه من أولئك الذين اعتنقوا الإسلام من غير العرب، أو ممَّن كان لاحتكاكهم بالشّعوب الأخرى أثر في لغتهم، فأصاب لسانهم لكنةٌ أبعدتهم عن الفصاحة.

ويجب ألاَّ ننسى أنَّ القرآن الكريم أحد السبل الرئيسية للبحث في لغة العرب نثرها وشعرها؛ لتكون معينة على فهمه وتفسيره، فهو من هذه الجهة دافع إلى البحث في اللغة، ومن جهة ثانية يُعدُّ وسيلة من وسائل حفظ اللغة، فقراءاته تعدّ وسيلة الاحتجاج التي يعتمدها النّحاة واللغويون في ضبط اللغة وتقعيدها؛ حيث إنّ الكثير من القرَّاء أسّسوا قواعد اللغة العربية على ما جاء في القرآن، ولا عجب في ذلك فجلهمّ من النحاة؛ "فمن البصريين: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى ابن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن الكوفيين: علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفرّاء"[(١)].

أضف إلى ذلك أن هناك صلةً قويّة بين القراءات القرآنية بأوجهها

---

(١) د. مهدي المخزومي- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- ط٣- ١٩٨٦م- ص: ٣٨٢.

المتعدّدة، وبين الدراسات المعجمية واللغوية، النحوية منها والصرفية والبلاغية؛ حيث إنّ اللغة هي السبيل القويمة إلى فهم كتاب الله تعالى، ومعرفة دقائقه وخوافيه التي لا يَعْقِلُهَا إلاّ العلماء الذين اتجهوا إلى المحافظة على لغة القرآن الكريم بقراءاته المختلفة وما لهما من تراث؛ فشرعوا في وضع العلوم اللغوية والأدبية خدمة لهما، فكان علم النحو، وعلم الصرف وعلوم اللغة الأخرى، لتقويم اللسان و ضبط اللغة وما يَعْرِض لها من أخطاء، ولا سيما أن العربية جعلت تحتكّ بلغة الأعاجم بعد الفتح، وأخذ يتسرّب إلى بعض الناطقين بها شيء من عوارض اللّحن، فجمعوا مفرداتها وتعبيراتها من ألسنة البدو، وجمعوا الشعر من رُواته، وأنشأوا علومَ النحو والصرف والبلاغة والعروض ومصطلح الحديث والقراءات والتفسير(1).

فاهتمام العلماء بوضع العلوم جعلهم يهتمون بجمع اللغة لاستنباط القواعد منها، وجمع اللغة دعا إلى جمع القرآن الكريم بقراءاته القرآنية المختلفة -المتواترة منها والشاذة- والحديث الشريف وكلام العرب المستشهد بهم ليتاح لعالم اللغة والأدب أن يستند في قواعده على شاهد ثابت موثّق.

وإذا كان المحققون من الفقهاء والقراء والأصوليين ينظرون إلى

---

(1) ينظر: الجاحظ- البيان والتبيين لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م-ج:١- ص: ٩٩. وجلال الدين السيوطي- المزهر في علوم اللغة والأدب- تحقيق: محمد علي منصور- دار الكتب العلمية- لبنان- ط:١- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م- ج: ٢ - ص: ٣٤١.

القراءات القرآنية باعتبارها وسيلة تعبُّد، وطريق تقرُّب إلى الله -تعالى- وشرطًا من شروط صحة الصلاة، ومصدرًا للتشريع والتحريم والتحليل، فإن أصحاب المعاجم واللغويين نظروا إليها نظرة مغايرة؛ لأن هدفهم مختلف، وغايتهم من قبول القراءة ليست العبادة أو الصلاة بها، إنما هي مجرّد إثبات حكم لغوي أو بلاغي، ولذا فقد وضعوا شرطًا واحدًا- كما ذكرنا سابقا- لصحّة الاستدلال اللغوي بالقراءة، وهو صحّة نقلها عن القارئ الثقة حتى ولو كان فردًا، سواء رُويت القراءة بطريق التواتر، أو الآحاد، وسواء كانت سبعية، أو عشرية، أو أكثر من ذلك[1].

والقراءة من زاوية الاستشهاد اللغوي تعدّ نصًّا عربيّا رواه أو قرأ به مَن يوثق في عربيته، ولهذا فهي- حتى على فرض اختلاف العلماء في صحّة التعبّد والصلاة بها- تحقق الشرط اللغوي، وهو النقل عن العربي الثقة، حتى ولو كان فردًا.

كما أن جوهر الاختلاف بين العلماء يتمثّل في اختلاف موقفهم في الاستشهاد بالصيغ والتراكيب والصرف والنحو، فأما المعجم فكان يعتمد على المعنى، وهو غير موضع للنزاع عند العلماء، لأن ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع يُسْتَشْهَدُ عليها حتى بغير الموثوق بفصاحتهم، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره، يقول صاحب خزانة الأدب:" علوم

(١) ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار. ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:١-١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م-ج:١ -ص: ٣٢.

الأدب ستة: اللغة، والصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والثلاثة الأُوَلُ لا يُستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة، فإنه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين؛ لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل"[1].

ويقول ابن جُني في الخصائص عن الاستشهاد بشعر المتنبي: "...فإنَّ المعاني يتناهبها المولَّدون كما يتناهبها المتقدمون"[2]

ويقول أيضاً في المحتسب " فإن المعاني لا يرفعها تقدُّمٌ، ولا يُزْري بها تأخُّرٌ. فأما الألفاظ فلعمري أني هذا الموضع معتبر فيها، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغرسها، وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولَّد الآخر أشبه"[3].

فإذا أُخذت المعاني من شعر المولّدين والمحدثين وغيرهم، كما مرّ بنا، فمن باب أولى أخذ القراءات التي تواترت عن رجال، لا يقدح في فصاحتهم ولا علمهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم إلى جبريل عليه السلام ثم إلى رب العزة والجلال.

من ذلك قول الخليل:" وقوله تعالى {**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**}

---

(١) عبد القادر البغدادي – خزانة الأدب– تحقيق: عبد السلام هرون– مصر– الهيئة المصرية العامة للكتاب– د.ط– ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩–ج:١– ص: ٢٩.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني – الخصائص –ج : ١ – ص: ٢٤.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها –ج :١– ص:٢٣١. وينظر: جلال الدين السيوطي –المزهر في اللغة – ص: ٢٩.

سورة التكوير- الآية : ٢٤. وما هو على الغيب بضنين؛ أي بمكتوم لما أوحي إليه من القرآن، وقرأت عائشة بظنين أي بمتهم"[١].فإنه نسب القراءة لأمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي من هي في العلم والفصاحة والثقة.

وإذا اعتبرنا أن هذه القراءات القرآنية بمثابة لهجات عربية نزل القرآن بها على سبيل التيسير على الأمة على وجه من وجوه معنى الأحرف السبعة، فإن هذه اللهجات لا يقدح في فصاحتها ولا تبعد من حيز الاستدلال والاستشهاد.

يقول ابنُ جني في الخصائص:" اللغاتُ على اختلافها كلُّها حجة، ألا ترى أن لغةَ الحجاز في إعمال ما، ولغةَ تميم في تَرْكِه، كلٌّ منهما يَقْبلهُ القياس، فليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحقَّ بذلك من الأخرى، لكن غايةُ مَا لَك في ذلك أن تتخيَّر إحداهما فتقوِّيها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبلُ لها، وأشدُّ نسباً بها، فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا. ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآنُ بسبع لغاتٍ كلُّها شافٍ كافٍ، هذا إذا كانت اللغتان في القياس سواء، أو متقاربتين، فإن قلّت إحداهما جدّاً، وكثرت الأخرى جداً أخذتَ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً... فالواجبُ في مثل ذلك استعمالُ ما هو أقوى وأشيع، ومع ذلك لو استعمله إنسان لم يكن مُخْطِئاً لكلام العرب،

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي- معجم العين-باب (ضن)-ج:٧- ص:١٠.

فإن الناطق على قياس لغةٍ من لغات العرب مصيب غير مخطئ، لكنه مخطئ لأجود اللغتين، فإن احتاج لذلك في شعر أو سجع فإنه غير ملوم ولا منكَر عليه"[1].

فإذا كان ردّ لغة على حساب لغة أخرى غير ممكن في الاستدلال - إلا التفضيل - فالقراءات القرآنية لها المزية في عدم ردّ بعضها لمكانتها وقدسيتها، أما القراءة الصحيحة المتواترة فهي قرآن كريم لا يجوز القدح في كلمة منها مهما كان الأمر.

من هذا يتضح لنا جليا أن وجود القراءات القرآنية في المعاجم كان القصد منه الاستدلال بها من كل النواحي اللغوية والمعنوية والبلاغية؛ كإثبات وجود اللفظ في اللغة، أو ضبط نطقه، أو ذكر معناه، وغيرها. على ما سنبينه في ما يلي:

أولا: الناحية اللغوية.

لقد أورد علماء المعاجم القراءات القرآنية للاستشهاد بها من الناحية اللغوية أي للتدليل على صحة المعلومة اللغوية المقدمة في متن المعجم؛ فإذا وردت أي لفظة في قراءة من القراءات فيحكم على صحّتها، وصحّة معناها، على النحو الذي سأبينه في هذه الأمثلة:

✓ **التدليل على صحة المفردة المذكورة في المعجم**؛ كجواز توالي ساكنين في كلمة واحدة، وذلك نحو قراءة نافع لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ

(١)- أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص - ج :١- ص: ٢٤.

صَلاتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنعام - الآية : ١٦٢. بتسكين الياء الثانية من محياي[١].

قال ابن سيدا المرسي: "... وأما قول العرب" التقت حلقتا البطان" بغير حذف ألف حلقتا لسكونها وسكون اللام، فإنهم جمعوا فيه بين ساكنين في الوصل غير مدغم أحدهما في الآخر، وعلى هذا قراءة نافع ﴿وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي﴾ بسكون ياء محياي لكنها ملفوظ بها ممدودة، وهذا مع كون الأول منهما حرف مدّ"[٢].

فقد استدل ابن سيدا على جواز توالي الساكنين بقراءة نافع، وهي قراءة متواترة.

الاستدلال **على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف؛** فإن ذلك وإن عدّه بعض العلماء سمجًا في الشعر، وأنه يتسامح فيه للضرورة الشعرية، فإن ورود القراءة القرآنية بهذا يُبعد القول بسماجته، والقراءة الدالة على ذلك قوله تبارك تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ﴾ سورة الأنعام - الآية : ١٣٧. برفع قتلُ على أنه نائب فاعل، ونصب أولادهم على المفعولية، وجر

(١) أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة- تحقيق : بدر الدين قهواجي و بشير حويجاتي- دار المأمون للتراث- دمشق- سوريا- ط:١- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م -ج: ٣ -ص: ٤٤٠ . وينظر: أبو الفتح عثمان بن جني- الخصائص- ص: ٢٧.

(٢) أبو الحسن بن سيدا المرسي- المحكم والمحيط الأعظم- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- لبنان- بيروت-دار الكتب العلمية-ط:١-١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م-باب (حلق)-ج:٣- ص:٧. وينظر: ابن منظور- لسان العرب-باب(حلق)-ج:١٠- ص: ٦٣.

شركائِهم بالإضافة إلى قتل وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، وهذه قراءة ابن عامر أحد القراء السبعة[١].

وقد عارض بعض النحاة هذه القراءة، وبعض المفسرين أمثال الزمخشري الذي ردّ هذه القراءة حيث قال في الكشاف، متابعاً النحاة:" وأما قراءة ابن عامر ﴿**قَتْلُ أَوْلاَدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ**﴾ **سورة الأنعام- الآية: ١٣٧** برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن الكريم المعجز بحسن نظمه وجزالته؟ والذي حمله – أي ابن عامر – على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرئ بجر الأولاد والشركاء، لكان الأولاد شركاءهم في أموالهم ولوجد في ذلك مندوحة عن هذا الانكباب[٢].

وقد فصّل القرطبي تفصيلا تاما ورائعا في الوقت نفسه في تفسير هذه الآية الكريمة بعدما ذَكَر القراءات الأربع لها[٣]، أعرضتُ عن ذلك صفحا مخافة التطوال، ومخافة الخروج عن الموضوع الذي نحن بصدد معالجته.

---

(١) أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة ج:٣ – ص:٤١٠.

(٢) الزمخشري- الكشاف- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- لبنان -بيروت- دار إحياء التراث العربي -د.ط-د.ت-ج:٢ – ص: ٥٤.

(٣) ينظر: محمد أبو عبد الله القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- لبنان- بيروت-دار إحياء التراث العربي-ط:١-١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م-ج:٧- ص:٩١-٩٣.

ثانيا: الناحية المعنوية.

كثيراً ما كان اختلاف وجوه القراءة يؤدّي إلى اختلاف وجهات النظر في معاني اللفظ القرآني، وفق الوجه المختار، فمن القرّاء من وافق اختياره معنى اللفظ وأبقى عليه، ومنهم من خالف اختياره معنى اللفظ ووجه إلى معنى آخر غير الأول، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

✓ اختلاف القرّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**﴾ **سورة الإسراء- الآية :١٠٦**. فقرأتْهُ عامة قرّاء الأمصار فَرَقْنَاه بتخفيف الراء بمعنى أحكمناه وفصّلناه وبينّاه. وذكر عن ابن عباس أنّه كان يقرؤه بتشديد الراء ﴿**فرّقناه**﴾، بمعنى نزّلناه شيئاً بعد شيء، آية بعد آية.

قال محمّد بن محمّد الزَّبيدي في معجمه" تاج العروس" في هذه الآية":﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ**﴾ أي فصّلْناه وأحْكَمْناه وبيّنّا فيه الأحكامَ هذا على قِراءَةِ من خفّف، ومن شدّد قال معناهُ أنزلْناه مُفرَّقاً في أيّامٍ"[(١)].

قال الطبري:" وأولى القراءتين بالصواب عندنا القراءة الأولى، لأنها القراءة التي عليه الحُجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن"[(٢)].

---

(١) محمّد بن محمّد الزَّبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان- بيروت – دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م- باب (عجم)-ج:١- ص:٧٨١١.

(٢) الطبري- جامع البيان في تفسير القرآن –- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:١- ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م-ج:١٥ – ص :١٧٨.

اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى في سورة الكهف في قصة ذي القرنين:﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ **سورة الكهف- الآية :٩٦**. فمن قرأه بالمدّ آتوني جعله من الإعطاء، ومَنْ قرأه أتُوني جعله من المجيء، والوجه أن يكون ها هنا من الإعطاء؛ لأنه لو أراد المجيء، لأتى معه بالباء، كما قال تعالى:﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِيْن﴾ **سورة يوسف- الآية :٩٣**.

إن اختلاف القرّاء في قراءة هذه الحروف وأشباهها، دفع أصحاب المعاجم إلى التماس معاني المفردات لدعم الوجه المختار، وتوجيهه، وتوضيحه، ممّا أدى بهم إلى أن يُسْهِموا في شرحِ مفرداتِ عدد غيرِ قليلٍ من مفردات القرآن.

من هنا يمكن القول أن القراءات القرآنية قد أدلت بحظ وافر في مجال التأليف المعجمي واللغوي وفي الغرض الرئيسي للمعاجم لما لها من أهمية في كثرة الألفاظ والعبارات وتنوع المعاني والدلالات.

وكتطبيق لما سبق رأيت من زيادة التوضيح أن أتطرق لأهمية القراءات في معجم تهذيب اللغة.

المبحث الرابع: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

بعد تتبعنا للقراءات القرآنية الموجودة في متن معجم تهذيب اللغة للأزهري -رحمه الله- ظهر لنا بجلاء ووضوح المكانة العلمية للكتاب من ناحية، والعصر الزاهر الذي عاش فيه المؤلف من ناحية أخرى، وكان هذا الزمن غنيا بكتب القراءات وتوجيهاتها وأصحابها، فلم تكن، القراءات في هذا الزمن، مضطربة وقليلة بالنحو الذي عُرِف وشاع فيما قبل، فلم يكن

بعيدا عن زمن ابن مجاهد صاحب السبعة في القراءات في القرن الرابع الهجري، ومن علماء القراءات الذين سبقوه أو المعاصرين له الذين عاش معهم وأخذ عنهم أمثال: أبي عمرو بن العلاء،وأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، وقد ذكرهم الأزهري في مقدمة كتابه[١].

والذي يبدو من تصفح المعاجم اللفظيّة القديمة هو أنّ أصحابها لم يكن بينهم خلاف في الاحتجاج بالقرآن ولا بقراءاته المتعددة، ومن هنا رأينا المعاجم اللفظيّة تحفل بهذين المصدرين، ويعدّ تهذيب اللغة من أبرز معاجم الألفاظ في هذا الجانب، فقد اعتنى بالشواهد القرآنية، والقراءات القرآنية عناية فائقة؛ ولا غرابة في ذلك فقد ربط الأزهريّ خاصّةً وعلماء المعاجم واللغة عامّة بين فهم اللغة ومعرفة الكتاب العظيم والسنة الشريفة، يقول الأزهريّ:" نزل القرآن الكريم والمخاطبون به عرب أولو بيان فاضل وفهم بارع، أنزله –جل ذكره– بلسانهم وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلّمه ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه يفهمها"[٢].

ومما يبرز قيمة القراءات القرآنية في معجم الأزهري بعض الأمور

(١) ينظر: الأزهري – تهذيب اللغة – ج: ١ – ص: ١٨

(٢) المصدر نفسه– ج: ١ – ص: ٣/ ٤.

أجملها في ما يلي:

أولا: لكم الهائل من القراءات القرآنية التي تكاد توجد في كل باب من أبواب كتابه، فلا تجد في فصل من فصوله إلاّ واستشهد بوجه من وجوه القراءات أو شرح قراءة أو بيّن قاعدة نحوية أو صرفية.

فنجده في باب(جمع) يذكر الأزهري أكثر من ثلاثة شواهد للقراءات القرآنية؛ منها قوله نقلا عن الفراء:"... وإذا أردت كسبَ المال قلت جمَّعت المال كقول الله تعالى:﴿**الَّذِي جَمَّعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ**﴾ **سورة الهمزة- الأية: ٠٢**. وقد يجوز﴿**الَّذِى جَمَعَ**﴾ بالتخفيف"[١].

وقوله في الآية الكريمة:﴿ **فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ**﴾ **سورة يونس- الأية: ٧١**:" ومن قرأ ﴿ **فَاجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ**﴾ بألف موصولة فإنه يعطف ﴿ شركاءكم ﴾ مع ﴿**أمركمْ** ﴾ ويجوز فاجمعوا أمركم على شركائكم"[٢].

وكذلك قوله:" وقال الله جلّ وعزّ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ **سورة الجمعة- الأية:٩**، قال الفراء: خفّفها الأعمش وثقَّلها عاصمٌ، وأهل الحجاز قال وفيها لغة الجُمْعة، وهي لبني عُقيل قال: ولو قرئ بها لكان صواباً، قال والذين قالوا ﴿**الجُمعَةَ**﴾ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنّه يجمع الناس، كما يقال رجلٌ هُمَزة لُمَزة ضُحَكة"[٣].

(١) المصدر نفسه -باب (جمع)- ج: ١- ص: ٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه -باب (جمع)- ج: ١- ص: ٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه -باب (جمع) الجزء والصفحة

هذا الكم الهائل من شواهد القرءات القرآنية تنبئ على مدى اهتمام الأزهري بالقراءات، حتى أنه في الباب السابق(باب جمع) يجعل أكثر من ورقة من أصل ورقتين يتحدث فيها عن القراءات القرآنية.

ثانيا: تصديره بعض أبواب معجمه بقراءات قرآنية وإبراز دلالاتها، من ذلك باب (عجب)حيث صدرها بقوله:" عجب قال الله جلّ وعزّ: ﴿ طِينٍ لاَّزِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخُرُونَ ﴾ **سورة الصافات- الآية: ١٢**. قرأ حمزة والكسائي ﴿ **بل عجبتُ ويسخرون**﴾ بضم التاء، وهكذا قرأ عليّ وابن عباس وقرأ ابن كَثِير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو بنصب التاء[(١)].

فصدّر الأزهري هذا الباب بقراءة من القراءات القرآنية، وهذا دليل على الأهمية التي يُولِها لها.

ثالثا: اعتماده على أصحاب القراءات المشهورين وعلماء اللغة الذين كان لهم قدم راسخة في مجال القراءات وتوجيهها من كل النواحي، من ذلك اعتماده على الفراء: وهو أكثر العلماء ذكرا في معجم الأزهري، بل يكاد يذكره في كل استشهاداته إمّا في القراءات القرآنية أو في توجيهها.

أمّا في أخذه القراءاتِ عنه فقول المصنف:" وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾ **سورة التحريم - الآية:** ٨. قرأها أهل المدينة بفتح النون، وذُكر عن عاصم﴿**نُصوحاً**﴾ بضم النون"[(٢)].

(١) الأزهري- تهذيب اللغة-باب(عجب)-ج :١ - ص :٢٤٧.

(٢) الأزهري- تهذيب اللغة- باب(نصح)-ج :٤ - ص :٢٥٠.

فالملاحظ في هذا المثال أن الأزهري -رحمه الله- أخذ القراءة عن الفرّاء وهي فتح النون في نصوحا وهي قراءة أهل المدينة، وضمُها وهي قراءة عاصم.

وأما في توجيه بعض القراءات نجد أن المصنف عندما ذكر قوله تعالى تبارك وتعالى:﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾ **سورة الانفطار- الآية:٧** في مادة (عدل)وجّه القراءات الواردة فيها بقوله:" قال الفراء: من خفف فوجهه- والله أعلم- فصرفك إلى أيّ صورة شاء إما حسن وإما قبيح وإما طويل وإما قصير. ومن قرأ: فعدّلك فشدد- وهو أعجب الوجهين إلى الفراء وأجودهما في العربية- ومعناه جعلك مُعْتَدِلاً مُعْدَّلَ الخَلْق"[1].

فاعتمد في توجيه هذه القراءة على الفرّاء كما لاحظنا، ومن العلماء الذين كان اعتماده عليهم في ذلك: أبو جعفر النحاس، والكسائي، وثعلب، وأبو الحسن الأخفش، وقطرب وأبو جعفر الزجاج، والمبرد...وغيره، فكان يورد الأزهري أقوال هؤلاء العلماء في ذكره القراءات وتوجيهاتها وشرحها.

والأمثلة كثيرة مبثوثة في كل معجمه. وهذا شيء طيّب يحسب للمصنف؛ إذ أنه بذلك أعطى كتابَه صبغةً علميةً موثقةً بالأدلة.

رابعا: بعض العبارات المبثوثة في المعجم الدالة على أهمية القراءات القرآنية عند أبي منصور الزهري؛ ففي مادة* عثا * عند قوله تعالى:﴿**كُلُوا**

(١) الأزهري- تهذيب اللغة- باب(عدل)- ج :٢ - ص :٢١٢.

وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِّ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ سورة البقرة- الآية: ٦٠.

يقول الأزهري:" القرّاء كلّهم قرءوه ولا تَعثوا بفتح التاء مِن عَثِى يَعْثى عُثُوّا ... وفيه لغتان أخريان لم يُقرأ بواحدة منهما عثا يعثو مثل سما يسمو، ولو جازت القراءة بهذه اللغة لقرئ ولا تَعْثُوا، بالضم، ولكن القراءة سنَّة، ولا يقرأ إلاّ بما قرأ به القراء..."[1]

ويقول في مادة*صدق*عند قوله تعالى: **﴿وآتوا النِّساء صَدُقاتِهنَّ نِحْلَةً﴾** سورة النساء الآية: ٠٤. "يجوز صُدَقاتِهنَّ بضم الصاد وفتح الدال ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا يقرأ من هذه اللغات إلا بما قرئ به لأن القراءة سُنَّةٌ"[2].

فالأزهري في هذين المثالين يذكر لغات لفظتي عثا وصدقاتهن من حيث هي لغات العرب، ويبيّن ما جاءت به القراءة القرآنية ويركز على سنيّة القراءة ولا يُجوِّز في القرآن القراءةَ بغير ما قرأ به القرآن.

وإذا وافقت لغة العرب وجوه القراءة أشار إليها وبيّن عدم الفرق بينهما، من ذلك في لفظة كره؛ حيث ذكر فيها وجهين، بفتح الكاف وبضمها، وقال:" ولا أعلم ما بين الأحرف التي ضمها هؤلاء وبين التي فتحوها فرقا في العربية ولا في سنة تتبع"[3].

---

(١) الأزهري- تهذيب اللغة-باب (عثا) ج: ٣ - ص: ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه - باب (صدق) ج: ٨ - ص: ٣٥٦.

(٣) المصدر نفسه- باب (كره) ج: ٦ - ص: ١٣.

الخاتمة:

بعد التطواف بمباحث هذا المقال يمكن الوصول إلى بعض النتائج أجملها في مايلي:

أولا: إنَّ موضوع القراءات القرآنية من الموضوعات المهمّة في الدّرس اللغوي العربي، لأنَّ دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا اللغوية المهمة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) ويلقي الضوء على الكثير من الخصائص اللهجية التي اتسمت بها بعض القبائل العربي، ولهذا تعدّ مادة القراءات القرآنية وما يتعلق بها رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي والأدبي العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه، ولاسيما دارس العربية.

ثانيا: اعتمد الكثير من المؤلفين القدامى في تحليلهم لمادتهم على القرآن الكريم بقراءاته المختلفة، كالمعاجم والتفاسير وكتب النحو والبلاغة وغيرهما، ومنهم الأزهري أبو منصور.

ثالثا: للقراءات القرآنية أثر في المعاجم وكتب اللغة؛ أي لها أثرها في تعدّد المعاني واتساعها.

رابعا: اعتمد الأزهري في استشهاداته على القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة لأنه كان يهتم بإدراج المعاني اللغوية التي تستقى من القراءات.

تلكم إذن أهمية القراءات القرآنية في كلام العرب عموما وفي المعاجم خصوصا، وإن الكم الهائل من وجوه القراءات التي تحويها المعاجم لدليل

قاطع على أن التأليف المعجمي قد تعزّز وقويَ عودُه بتلك القراءا ت القرآنية بكل أنواعها وأقسامها، وسواء أكانت صحيحة أم شاذة، لأن الغرض من تأليف المعاجم هو المساهمة في ازدياد الدلالات، وهذه الأخيرة ليس لها شروط في الأخذ والاستدلال والاستشهاد.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأزهري- تهذيب اللغة – تحقيق: عبد السلام هارون و محمد علي النجار- مصر- القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- ط:١- ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- الجاحظ- البيان والتبيين- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط-١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- الزمخشري- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- لبنان - بيروت –دار إحياء التراث العربي –د.ط-د.ت.
- السيوطي:الإتقان في علوم القرآن- تحقيق: سعيد المندوب - لبنان- بيروت- دار الفكر – ط:١- ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م..
- المزهر في علوم اللغة والأدب-- تحقيق: محمد علي منصور- دار الكتب العلمية- لبنان- ط:١- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- أبو الحسن بن سيدا المرسي- المحكم والمحيط الأعظم- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- لبنان-بيروت-دار الكتب العلمية-ط:١- ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان - بيروت – دار إحياء التراث العربي - ط:٢- ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.

- أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة- تحقيق: بدر الدين قهواجي و بشير حويجاتي - دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا- ط:١-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- أبو عمر يوسف ابن عبد البر - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- تحقيق: محمد الفلاح - ط:١- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ابن جني: - الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط٣- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- - المحتسب - تحقيق: علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:١- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- - سر صناعة الإعراب- تحقيق: د. حسن هنداوي – سوريا- دمشق- دار القلم- ط:١-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ابن حجر العسقلاني- فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت – دار المعرفة- د.ط- د ت.
- ابن خلكان– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: د. إحسان عباس- لبنان- بيروت –دار صادر-ط:١- ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١-د.ت.
- ابن كثير– البداية و النهاية- لبنان- بيروت– دار المعارف- ط:٢- ١٤٢٦هـ١٩٩٥م-ج:١١- ص:١٤٩/ ١٥٩.
- ابن منظور-لسان العرب-لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- ط:١- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- تحقيق: د. مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي- لبنان- بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات- ط:١- ١٤٠٨/ ١٩٨٨م.
- محمد أبو عبد الله القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي-ط:١-١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م-ج:٧- ص: ٩١-٩٣.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- القاموس المحيط- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– د.ط- د.ت.
- عبد القادر البغدادي – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق: عبد السلام هرون- مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- د.ط- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- مالك بن أنس الأصبحب- الموطأ – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- لبنان- دار إحياء التراث العربي- ط.ط- د.ت.
- محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:١- ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م.
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان - بيروت – دار صادر- ط:١- ١٣٠٦هـ١٨٨٥م.
- د.مهدي المخزومي- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو- دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- ط٣- ١٩٨٦م.